تواصل (المدى) نشر هذا الكتاب الذي يقدم صورة عن ذكريات وانطباعات وآراء بول بريمر حول فترة عمله في العراق وتهدف (المدى) عبر ترجمتها ونشرها الكتاب إلى إتاحة الفرصة لقرائها للاطلاع ، كما تتيح المجال للباحثين والمحللين وسواهم من المعنيين لمراجعة مادة الكتاب فكرياً ونقدياً.. وبهذا تؤكد (المدى) ان جميع الآراء والمعلومات التي يقدمها بريمر هنا هي تعبير عن وجهة نظره الشخصية التي لا تلتقي مع وجهة نظر (المدى) التي واكبت فترة حكم بريمر وما بعدها بالنقد الصريح المعروف عن الجريدة وعن سياستها الواضحة في هذا المجال.

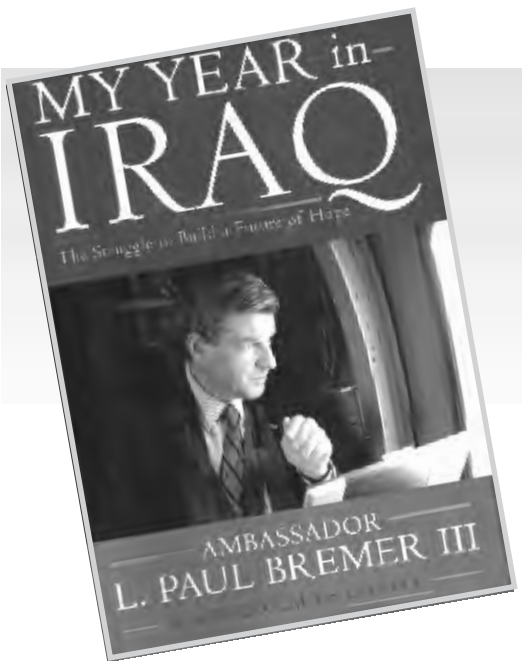

كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

سنتي في العراق

الصراع لبناء مستقبل من أمل

تأليف/ بول بريمر
ترجمة /د. عابد اسماعيل

(الحلقة الثالثة و الثلاثون)

الجزء الثاني
الفصل السادس

"لا تُقلق بالَنا بالتاريخ"
بغداد / ٣١ ، آب ، ٢٠٠٣

رام ملاّحُ الطائرة (C-130)يتمايل بين محابس غرفة الشحن ، ممسكاً بقاطعٍ حديدي مثل لاعب الجمباز. "شدّوا أحزمتكم جيداً." بدا صوته عالياً ، فيما كان صوت المحرّكات يتراجع.

انحدر أنفُ الطائرة في زاوية ميلان حادّة ، وكنتُ أرى الشفرات الدافعة ، على الجناح الأيمن ، تنبسطُ داخل قرص فضّي أغبر. كانتَ الأضواء تَتَابعُ بسرعة أكبر ، في مطار بغداد الدولي ، حين قام الطيارُ بغطسةٍ دورانية ، محافظاً على الطائرة فوق دائرة المطار.

موكب تشييع جنازة الشهيد محمد باقر الحكيم

كان قد تمّ إطلاعنا عمّا يجب أن نتوقّعه أثناء ما يُسمّى "الهبوط الهجومي"، وهي حالة مناورة، تهدف إلى التخفيف من خطر الصواريخ الموجّهة حرارياً. ويقضي المبدأ بتجنب الطيران المنخفض والطويل فوق القرى، حيث يمكن للمتمرّدين أن يطلقوا صواريخ محمولة على الكتف. في اليوم الفائت، كان قد أُطلق صاروخ من طراز (SAM_7)على طائرة نقل، تابعة لسلاح الجو، أثناء استعدادها للإقلاع. لكن الصاروخ أخطأ هدفه، وكما شرح قبطان طائرتنا، قبل أن نقلعَ من عمّان، "لا نريد للأشرار أن ينجحوا هذه الليلة." ازدادت زاوية الميلان أكثر فأكثر، وكان الصفير في الأعلى يطغى على المحرّكات الواقفة. وقام طاقم الطائرة بمناورة أخيرة، باستخدام الجناح الأيمن، قبل أن تشتغل المحركات ثانية، ونأخذ وضعاً أفقياً مستوياً، حيث بدأت دواليب الطائرة تلامس الأرضَ الإسمنتية.

بعد تسع عشرة ساعة من مغادرتنا الولايات المتحدة، عدتُ أدراجي إلى بغداد.

أثناء الرحلة الطويلة إلى الأردن، كنتُ قد قرأتُ مجموعةً من الرسائل التي وصلتني من أعضاء سلطة التحالف المؤقتة، عن الحالة الأمنية التي أعقبت تفجير مدينة النجف، التي أودت بحياة محمد باقر الحكيم. كان الزعماء الشيعة قد نظّموا "مسيرة" ضخمة (خليط من موكب السيارات والعربات) من بغداد إلى المدينتين المقدستين، كربلاء والنجف. في المسيرة، امتزج الحزن بالغضب، وكانت الأمورِ مرشّحة إلى المزيد من العنف.

انضمّ إلى حراستي الشخصية فريق جديد من الحراس، مؤلف من عناصر شرسة من قوات البحرية، جاءت من شركة المقاولات (بلاك وتر)، بعدما ازداد الخطر على حياتي. كان وجودهم في سيارة الشيفرولية المصفّحة- وهم يمسكون بأسلحة قصيرة سوداء، من سلاح الغواصات البحرية، يراقبون الطريق المهجورة للمطار- يعزّز الشعورَ بأنّ العراق قد أصبح مكاناً أكثر خطراً. كان موكبنا مؤلفاً من سيارتي هامفي، مصفّحتين، وسيارة شيفرولية مدرعة، مزوّدة "برشاشات" من شركة (بلاك وتر)، مع سيارتي المدرعة، وسيارة مدرعة أخرى مزوّدة بأسلحة رشّاشة، مع سيارتين هامفي، تسيران في الخلف. لم أكن أفكّر بسلامتي، بقدر ما كنتُ أفكّر بهشاشة ٣٠٠ ألف شيعي، يتوجّهون جنوباً لحضور جنازة الشيخ المقتول. إن الهجمات الناجحة لعناصر التمرّد على جمهرة المعزّين يمكن أن تشعلَ حرباً طائفية. ولم يكن لدينا قوات كافية، من التحالف، أو شرطة عراقية لاحتواء العنف المحتمل الذي يمكن أن يؤلب الشيعة على السنّة في العديد من المدن.

"مضت المسيرة دون أية حادثة،" أبرق كلاي، فيما كنتُ أعقد جلسة استماع مع فريق عملي في مقرات سلطة التحالف المؤقتة. "سوف يطوفون حولَ مقام كربلاء، لعدد من الساعات غداً، ومن ثمّ يتوجّهون للمشاركة في الجنازة في النجف، يوم الثلاثاء."

"هذا خبر لا بأس به، على الأقل،" قلتُ. "وما هو حال مجلس الحكم؟" سألتُ، متوجهاً إلى سكوت كاربنتر.

"مازال اجتماعهم قائماً،" قال، ناظراً إلى ساعته. "بشكلٍ أو بآخر، يبدو أنهم رسوا أخيراً على تشكيلة الحكومة، وهم يناقشون إمكانية إعلان القائمة هذه الليلة."

أن يستطيع أعضاء المجلس التغلب على خصوماتهم وعداوتهم، والاتفاق على قائمة وزراء، فإن هذا يعتبر بحدّ ذاته إنجازاً لافتاً. وكانت المشكلة أنّ الرئيس الدوري للمجلس، عزت إبراهيم الجعفري، كان متردداً في السماح للرئيس التالي، عن شهر أيلول أحمد الجلبي، تسجيل نقاط سياسية، من خلال تقديم أسماء الحكومة الجديدة إلى الأمّة. وبالتالي كان الجعفري مستعجلاً في إعلان القائمة قبل أن تنتهي فترة رئاسته.

كان الجعفري هو العضو الوحيد المتبقي من أعضاء المجلس حين وصلنا، أنا وزميلي البريطاني ديفيد رتشموند، إلى مبنى مجلس الحكم في التاسعة صباحاً. بعد التبادل المعتاد للمجاملات، وتقديم تعازينا عن مقتل الشهيد آية الله باقر الحكيم، زجّ الجعفري نفسه في حديث متحمّس ومألوف "عن العراقيين الذين يجب أن يسهروا على أمن أنفسهم."

"إننا نوافق بالمطلق. ولكن ما الذي تقترحونه بالضبط؟" سألتُ، وهو السؤال الذي كنت قد طرحته على مجلس الحكم منذ أسابيع. "أنتم تعلمون أننا نعمل ليل نهار لمضاعفة حجم الشرطة العراقية وقوات الدفاع المدني."

"حسنٌ، أعتقد أنه من المأساوي أن تقع حادثة من هذا النوع في مدينتنا المقدسة،" أصرّ الجعفري. "كان يجب على التحالف أن يفعل المزيد لحفظ الأمن هناك."

"دكتور جعفري، لقد شرحتُ مرات عديدة لك ولزملائك أن رجالَ الدين الكبار في النجف قد طلبوا من قوات التحالف البقاء بعيداً عن المقامات. وبسبب احترامنا لهذه المواقع، فعلنا بالضبط ما طلبوه منا." وبالتالي استطاع القتلة أن يزرعوا القنبلة التي قتلت آية الله محمد باقر الحكيم، وجمعاً من المصلّين، بسهولة واضحة.

وانتهى الاجتماع مع وعد الجعفري بأن يجتمع أخيراً ثلاثة من أعضاء مجلس الحكم مع لجنة أمنية مشتركة شكّلها التحالف، والتي كنّا قد اقترحناها منذ شهر مع نظرائهم في سلطة التحالف المؤقتة في الصباح.

وبالرغم من إرهاق فارق التوقيت، شعرتُ أنه يجب أن آخذ بعض الوقت، قبل الذهاب إلى النوم، لمراجعة قائمة مجلس الحكم المتعلقة بالوزراء المقترحين. قلتُ، وأنا أستعرض مع أمريكيين وبريطانيين في فريق حكمنا، داخل مكتبي، "حسنٌ، قاموا على الأقل بشيء ما. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الوقت الذي هدره هؤلاء خلال الشهرين الماضيين، فهذه أخبار جيدة."

"أجل،" أجاب سكوت، "غير أنّ الطريقة التي اختاروا فيها هؤلاء البشر تبدو مخيبة." وشرح أنهم كانوا قد اختاروا الوزراء بنفس الطريقة التي استخدموها في اختيار اللجنة التحضيرية الدستورية (والتي سميناها اللجنة التحضيرية). "مرة ثانية، توافقوا ببساطة أن يقوم كل عضو من الأعضاء الخمس والعشرين في مجلس الحكم باختيار وزير واحد. وفي المحصلة، هم كرروا أنفسهم من جديد، من دون بذل جهد حقيقي، يهدف إلى توسيع القاعدة السياسية للمجلس."

قال ميغان سوليفان أن هذه الصيغة طرحت معضلة أخرى: كان يوجد واحد وعشرون وزيراً في الحكومة السابقة، قبل الحرب، وبالتالي فإن مجلس الحكم أوجد أربع وزارات جديدة لكي يمنح لكل عضو من الأعضاء قطعةً من الكعكة. "وظائف للأولاد،" كما عبر أحد أعضاء المجلس.

"ومن جهة أخرى،" نوّه كلاي، "هم، على الأقل، لم يقتربوا من خطوطنا الحمر." كان يشير إلى الإنذار الذي أصدرتُه بأننا لن نقبل إسلاميين في وزارتي الداخلية والتربية.

من بين الشيعة الثلاثة عشر الذين سيشرفون على وزارات أساسية، كان يوجد أشخاص علمانيون ومتدينون، ولكن لم يكن يوجد بينهم متطرفون طائفيون. وكما كنا قد توقعنا، قسّم الأكراد كراسيهم الوزارية الخمسة بين الحزبين الكرديين الرئيسين. وحصل السنة على خمس وزارات، بما في ذلك وزارة الكهرباء المفصلية، ووزارة العدل، التي ستلعب دوراً حاسماً في إرساء حكم القانون. كان هناك آشوري مسيحي واحد يشغل منصب وزير النقل، ووزير تركماني، حاصل على دكتوراه من بريطانيا في الهندسة المدنية، والذي عُين وزيراً للعلوم والتكنولوجيا. وعبرت جولي تشابل، الديبلوماسية البريطانية، التي عملت جاهدةً لإرجاع النساء العراقيات إلى الحياة في البلاد، عن خيبة أملها لوجود امرأة واحدة فقط بين الوزراء- وهي نسرين برواري، الكردية الشابة التي كانت قد خدمت بامتياز في الحكومة الكردية.

من أجل تجميع هذه الحكومة، لجأ أكثر الأعضاء نفوذاً في المجلس- الجعفري، الحكيم، الجلبي- إلى مشاحنات ونقاشات حادة.

وقامت أجهزة مخابراتنا بسبر أسماء المرشحين، من خلال بنك معلومات عن كلّ واحد منهم، ولم يتم العثور على ما يدلّ بأن أياً من هؤلاء الوزراء كان من صفوف كبار البعثيين، بالرغم من أننا كنا نعرف بأن معلوماتنا حول هذه القضية كانت مبتسرة. "يبدو أنهم زمرة قديرة." وختمتُ، "أنا متعب جداً، ولن أناقش هذا الأمر الليلة. دعهم يذهبون قدماً، ويعلنون عن الأسماء، بالطريقة التي يرغبونها. أريد أن آخذ حمّاماً وأذهب إلى النوم."

وبينما كان الجميع يتأهب للنهوض عن الطاولة الرخامية، عاد كلاي، كأن شيئاً يقلقه.

"جري،" قال، "أنا قلق جداً حيال المزاج المهيمن في البنتاغون."

"ما الأمر؟"

"حسن، سمعتُ من مصادر عديدة من هناك، أنّ أجهزة الاستخبارات، والجيش على وجه الخصوص، قد بدأوا يشعرون بالقلق حيال الانتقال الدوري للقوات في الربيع القادم."

محمد باقر الحكيم

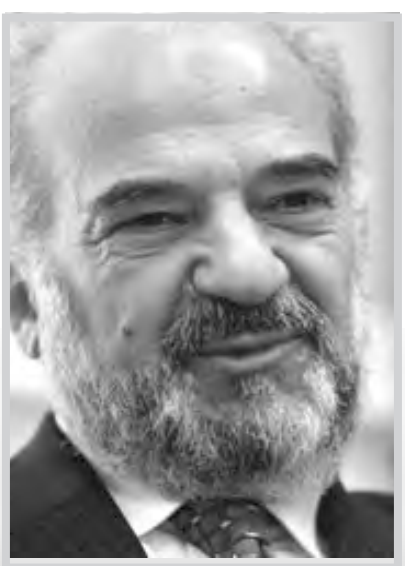
د.ابراهيم الجعفري

د.احمدالجلبي

نسرين برواري

يتبع